فاعلية اللهجات في العملية التواصلية

أ. فاطمة الزهراء صادق
جامعة الجيلالي ليابس - سيدي بلعباس

الملخص:

اللغة إنتاج طبيعي يتميز به الإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى بأفضل نعمائه، نعمة العقل التي من بها الله عز وجل على خالقه، والقدرة على الأداء اللفظي، ولا يكتمل وجوده بدون اللغة، فهي ذات جانب اجتماعي، نفسي وعقلي يتمثل في ارتباطها بالجماعة والإنسان الفرد وحده، ومن هنا يتضح لنا أنها تشكل وجهان لعملة واحدة، إذ لا نستطيع أن ننطق بما لا قدرة لنا بالتفكير به.

الكلمات المفتاحية: اللهجات ; العملية التواصلية; اللغة

إن اللغة أهم مظهر من مظاهر السلوك الاجتماعي والحضاري، تشكل عاملا أساسيا من عوامل التكيف الاجتماعي، تسعى إلى تحقيق نظام الاتصال الإنساني الأكثر استعمالا وتطورا، فهي وسيلة للتفاهم والاتصال والتخاطب بين الأفراد والمجتمعات، فهي وسيلة من وسائل النمو العقلي والمعرفي، ووسيلة من وسائل التصنيف الاجتماعي إلى قبائل من طبقات أو غير ذلك، إذ تختص كل فئة مما تقدم بلهجة تعرف بها وتدل على هويتها.

وتشمل الوظيفة الاجتماعية أيضا:

التعبير عن القيم والأعراف والتقاليد والمقومات الثقافية التي تميز المجتمع، ويمثلها أفراده ولا سيما تلك التي تستخدم اللغة للتعبير عنها.[1]

اللغة نظام له قواعده الخاصة يتخذه أفراد اللسان الواحد وسيلة للتواصل، يمثل كيانا مستقلا من العلاقات الداخلية التي اربطها أواصر التآلف والانسجام اللغوي والاجتماعي؛ يعرفه هدسون بأنه:» جماعة تقف على أساس اللغة ".[2]

وتدخل في مجال الدراسة العلمية للمجتمعات الإنسانية، دراسة الظروف الاجتماعية التي تؤدي اللغة فيها وظيفتها، وتنطوي فيها دراسة خصائص لغات المجتمعات الناطقة بها، ومظاهر التنوع اللغوي والتطور في اللهجات والمفردات وتغيرات اللغة المؤثرة في العلاقات الاجتماعية.

غير أن ما لبث أن اتسعت دائرة البحث العلمي حول اللغة حتى ظهر علم اللغة التطبيقي بإرساء قواعده من خلال وضع الأساليب والإجراءات التي يستطيع بها أن يحول هذه الحقائق العلمية المجردة إلى "مقرر تعليمي" استراتيجية من حيث المعلم وإعداده والهدف من هذا القرار واختبار المادة اللغوية وطرق تدريبها، والاستعانة بعامل اللغات كلها تمت بصلة بحيثيات هذا العلم الميداني.[3]

وليس **علم اللغة التطبيقي** مجرد تطبيق لنظريات علم اللغة العام ولا يهتم بمعرفة تفاصيل العلوم التي يستفيد منها في حل المشكلات اللغوية الإنسانية، بل هو:" الحقل التعليمي العلمي الذي يعمل على استثمار الرؤى والأفكار، والمبادئ، والحقائق اللغوية والنتائج المادية التي تعينه على الوصف والتفسير والبحث اللغويين في التعرف على المشكلات

الثقافية والاجتماعية والتعليمية ذات الطبيعة اللغوية، ومحاولة تقديم الحلول العلمية لمشكلات اكتساب اللغة واستخدامها في الاتصال بين أفراد المجتمع الواحد.[4]

عقب التقدم الذي أحرزه علم اللغة والعلوم المتفرعة عنه استقلت بعض الفروع اللغوية التطبيقية التي تميزت بموضوعاتها، وتحددت ملامحها، وامتدت الدراسات اللغوية التطبيقية إلى مجالات واسعة وانبثقت منها فروع جديدة متباينة من العلوم الإنسانية التي تتصدى لمعالجة المشاكل ذات الصلة بالواقع اللغوي كعلم النفس، علم الاجتماع، علم الجغرافيا.

ومن هنا ارتأينا أن نلتفت إلى إحدى هاته الفروع التي تعالج واقع اللهجات في مناطق الأفراد الناطقة بلسان واحد أو أكثر؛ وغيرها من المسائل التي تسبغ على الدرس اللغوي طابعه الإنساني مثل: علاقة اللغة بالمجمع، علاقة اللغة بالجغرافيا وتوزيع اللهجات، ثنائية اللغة ...إلخ

والذي يهمنا في هذا كله: طبيعة العلاقة التي تربط علم اللغة التطبيقي بالعلوم الإنسانية محاولين البحث عن حل مشكلة الواقع اللغوي.

وفيما يلي عرض لأهم هاته الفروع التطبيقية ذات الصلة بقضية التأثيرات المتبادلة بين اللغة والمجتمع، اللهجات وتصنيفها طبقا للمواقع الجغرافية المتواجدة فيها: علم اللغة الاجتماعي، علم الجغرافيا اللغوي.

علم اللغة الاجتماعي: يهتم برصد أبعاد العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية ومدى تأثير المجتمع على الظواهر اللغوية وأشكالها التي تظهر في تعدد المستويات اللغوية في المجتمع الواحد أو تعدد اللغات واللهجات كما يقوم بتحديد هذه المستويات أو اللهجات، ويسجل الفروق اللغوية الموجودة بين طبقات المجتمع المختلفة.[5]

بينما يُعنى **علم الجغرافيا اللغوي** «**الجغرافية اللغوية**" بتصنيف الوحدات اللغوية، والأنماط اللهجية طبقا لمواقعها الجغرافية، وكذلك تصنيف اللغات واللهجات، ويقوم بدراسة الخصائص الصوتية والصرفية، والنحوية، والدلالية التي تميز لغة عن أخرى أو لهجة عن غيرها لدى جماعة لغوية واحدة في مختلف مناطقها الجغرافية التي تتوزع على شكل أطالس لغوية.[6]

ينجم عن تعدد مستويات الأداء اللغوي للغة الواحدة ظاهرة التنوع اللغوي الذي ينحصر في اللهجات إلى جانب ازدواجية اللغة (المزج بين الفصحى والعامية)؛ هو مجال بحث اللسانيات الاجتماعية وما يتفرع عنها من مجالات متباينة.

التنوع اللغوي واللهجات:

لا توجد لغة تسير على نمط واحد أو على مستوى واحد وإنما تتعدد مستويات اللغة الواحدة بتعدد عوامل نشأتها وتطورها داخل المجتمع الكلامي، ومن ثم يطهر التنوع اللغوي على شكل هيئة لهجات «إقليمية، جغرافية أو لهجات اجتماعية" أو لهجات مهنية تخص ميدانا خاصا.[7]

وعلى هذا الأساس فإن لكل طبقة اجتماعية ألفاظ خاصة يتحكم فيها استخدامها استعمال الفرد لها، ذلك أن لكل شخص على حدة له خصائصه النطقية المختلفة التي تميزه عن غيره، حتى من بين أعضاء أسرته القريبين منه، والتي تسمح بأن يميزوه في حالة عدم رؤيته عن طريق صوته.[8]

يكفي أن نشير إلى أن اللهجة طريقة من طرق الأداء اللغوي يتوخاها المتكلم في ظل حالة اجتماعية خاصة، تحدث عقب تحريك الجهاز النطقي والعلاقة بين الأصوات من حيث الخصائص الصرفية والنحوية في أدائه، بل حتى من حيث المفردات الصادرة في كلامه، باعتباره جاريا في ظل نظام لغوي تعارف عليه المجتمع.[9]

وفي هذا الصدد **يقول الجاحظ**: "وأرى أن ألفظ بألفاظ المتكلمين مادمت خائصا في صناعة الكلام مع خواص أهل الكلام فإن ذلك لأفهم لهم عنّي وأحف لمؤمنتهم عليّ...وقبيح بالمتكلم أن يفتقر إلى ألفاظ المتكلمين في خطبة أو رسالة أو في مخاطبة العوام والتجار أو مخاطبة أهله، أو في حديثه إذا تحدث، فإنه من الخطأ أن يجلب الألفاظ الأعراب وألفاظ العوام وهي في صناعة الكلام داخل".[10]

يستند الجاحظ في قوله إلى طبيعة اللغة والتنوعات اللغوية للمتكلمين بها، يظهر ذلك في اختلاف المفردات بين لغوي ومستوى لغوي آخر، أو بين طبقة اجتماعية وطبقة اجتماعية أخرى، بين لهجة اجتماعية ولهجة اجتماعية أخرى.

بل إنه ينتج عن عوامل أخرى تدخل في تميز لهجة اجتماعية معينة مثل: الجوانب الصوتية التي تصاحب فعل الكلام، وليس الألفاظ التي ينطق بها صاحب اللهجة، وإنما في حالة الصوت ارتفاعا وانخفاضا إلى جانب عامل السن والموطن الأصلي.[11]

ويردف قائلا: «إن اختلفت الصور والنغم والأسنان والبلدان"[12].

وبناء على ذلك حاول الجاحظ رصد كم هائل من التنوعات اللغوية التي تترتب عن وقوع الحن وظهور اللكنات واختلاف كلام الناس باختلاف طبقاتهم ومهنهم في صورة لهجات إقليمية واجتماعية بما لها صلة بالعربية الفصحى، على نحو اعتبار أن العربية لم تنتشر في البلاد المفتوحة وفق مستوى متجانس وإنما تأثرت باللغات الأصلية لأهل البلاد، وكذلك باللهجات العربية أو الإقليمية للقبائل العربية.

وجعل خطاطة تصوره للتنوعات اللغوية على النحو التالي:

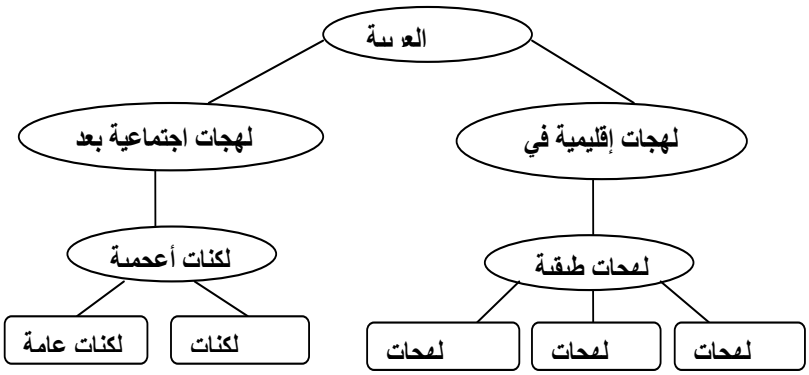

وعلى العموم تتضح معالم نشأة اللغة واللهجات من خلال مسح لغوي لواقع اللهجات في العديد من القبائل، ولاسيما عقب نزول القرآن بلسان عربي مبين، أي أنه نزل بلهجات كثير من القبائل ولكن لعامل ديني واجتماعي طغت عربية الحجاز عن باقي لغات العرب، وعدّت أصل العربية الفصحى ذلك أن هذه الأخيرة استمدت كثيرا من خصائصها من لغة قريش، بينما أسهمت لغات القبائل الأخرى على نحو كبير في تكوين الفصحى.[14]

- التوزيع اللغوي:"Distribution de l'linguistique" يستخدم للحديث عن تحديد اللغات الأوسع انتشارا في مناطق مختلفة من العالم، قد تفتقد اللغة مكانتها حينما تغادر موطنها الأصلي، تكون قابلة للتعرض لعوامل الانتشار والتوسع، أو لعوامل الانحلال والزوال.
- **ثنائية اللغة أو تعدد اللغات"Bilinguisme»: هي** مصطلحات تصف حالات معينة لمتكلم يتحدث بلغتين أو أكثر، إذ من السهل تحقيقها حينما تكون اللغتان مستعملتين جنبا إلى جنب في مرحلة مبكرة، بيد أنها تعوق التحكم الجيد في إحدى نظام اللغتين، بينما يتوقف ذلك على قدرات وكفاءات الفرد.
- **التعرف اللغوي:"Identification de la langue"** يعنى بتصنيف وتمييز اللغات عن طريق تحديد المنطقة اللغوية التي ينتمي إليها المتكلم.
- **الأطلس اللغوي:** يساعد على معرفة مناطق استخدام اللغة، ومدى انتشارها في المناطق اللغوية التي يوضحها الأطلس اللغوي، كونه أداة للتفاهم والتواصل بين الشعوب ووسيلة مهمة في دراسة خصائص اللهجات المختلفة ومقارنتها باللغة الفصحى، وفي دراسة التباين بين اللهجات من حيث المستويات اللغوية.[15]

نخلص إلى أن للجغرافية اللغوية أهمية بالغة في تحديد واقع اللهجات عبر مناطق مختلفة من العالم التي يشملها الأطلس اللغوي، من خلال إجراء مسح لغوي شامل للمنطقة المستهدفة، من ثم يسهل الاتصال بهم سواء كان أصحابها سكان أصليين أو ناطقين بها باعتبارها لغة ثانية، تختص بهذه المائل والظواهر اللغوية اللسانيات التطبيقية ومجالاتها المتفرعة خصوصا علم الاجتماع اللغوي والجغرافية اللغوية.

الهوامش:

[1]-أحمد شيخ عبد السلام: مقدمة في علم اللغة التطبيقي، الجامعة الإسلامية الإعلامية، ماليزيا ،ط2001،،1، ص113.

[2]-هدسون: علم اللغة الاجتماعي: تر : محمود عياد، دائرة الشؤون الثقافية، بغداد، ص 52-53.

[3]-حلمي خليل :دراسات في اللسانيات التطبيقية نقلا عن عبده الراجحي: علم اللغة التطبيقي و تعليم العربية، دار المعرفة الجامعية،2002، ص 21.

[4]-ينظر: أحمد شيخ عبد السلام: مقدمة في علم اللغة التطبيقي، الجامعة الإسلامية الإعلامية ، ماليزيا، ط2001،1،ص 21.

[5]-ينظر : كريم زكريا حسام الدين: أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الانجلو المصرية، ط1993،3، ص101.

[6]-ينظر: أحمد شيخ عبد السلام: مقدمة في علم اللغة التطبيقي، ص 28.

[7]-ينظر: عبده الراجحي: علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار الثقافة، الرياض، 1990، ص 26.

[8]-ينظر ماريوباعي: أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار، عالم الكتاب المصري ، القاهرة ،ط2، 1983،ص 99.

[9]-ينظر: تمام حسان: اللغة العربية بين المعيارية و الوصفية، الدار البيضاء، المغرب ، دط ، 1994ص 177-178.

[10]-الحاحظ: البيان و التبيين، تح: عبد السلام هارون، القاهرة، ج1، ص 138-140.

[11]-ينظر:حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعارف الجامعية ، 202، ص 178.

[12]-ينظر: الجاحظ، الحيوان، تح :عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، ط3،ج2، ص105.

[13]-ينظر: صالح بلعيد: فقه اللغة العربية،دار هومه، الجزائر، ص1998،ص 15.

[14]-ينظر:ماريوباعي:أحمد مختار عمر،ص 192-193.

[15]-ينظر : أحمد الشيخ عبد السلام:مقدمة في علم اللغة التطبيقي، ص .145